شَرح المَنظُومَة اللَّامِيَّة

شَرح المَنظُومَة اللَّامِيَّة

لِلشَيخ عَبد الرَّزاق البَدر

حَفظَه اللهُ تَعالَى

بسم الله الرحمان الرحيم

° تُسَمى بِالمَنظُومَة اللَّامِية لأنَّ خَاتِمتَها حَرفُ اللَّام .

° إنَّها مَنظُومةٌ نَافِعة فِي تَقرِير الإعتِقاد، رَغمَ قلَّةِ أبيَاتِهَا (16 بيتًا) .

° الغَالِب – و ليسَ هُنَاك جَزم – أنَّها لِشيخ الإسلام اِبن تَيمِية – رحِمه الله – دُون غيرِه وَ ذَلكَ لأسبابٍ مِنهَا :

1. أنَّها اِشتهرت مَنسُوبَة إلَيه و لم تُنسَب لِغَيرِه .

2. التَّقرِير الذِي فِيهَا هُو المَعهُود مِن شَيخ الإسلام اِبن تَيمِية – رحمه الله – .

3. بَعض أَهل العِلم جَزَم بِنِسبتِها له، مِنهُم : الآلُوسِي .

ملاحظات :

°°° في مَجموع فَتاوَى شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – ، اِستَشهَد بالبَيت : " قُبْحًا لِمَن نَبَذَ القُرَانَ وَرَاءَهُ °° وَ إذَا اِسْتَدَلَّ يَقُولُ قَالَ الأَخْطَلُ " قَائِلًا : " و قد أَنْشَد المُنشِدُ فيهم " :

1. قَد يَكون شَيخ الإسلام – رحمه الله – يَعنِي نفسَه .
2. قَد يَكُون هَذا البَيت تحديدًا لِغيره، و ظَمنَّه المنظُومة .
3. قَد تَكون المَنظُومة لَيسَت لَه .

°°° في بَعض النُّسَخ جاءَ البَيت ال 5 بِلفظ "القديم" صِفة للقُرآن بَدَل "الكرِيم"، فَإذا كَانَ هَذَا هُوَ الأَصل فِي المَنظُومة نَجزِمُ بِأنَّها ليسَت لِشيخ الإسلَام ابن تيمِية . لأنّهُ – رحِمه الله – يَعُدُّ وَصفَ القرآن بـ "القَديم" مِن بِدع أهل الكَلام و لم يَقُل بِه أَحَد مِنَ السَلف .

و لكِن وُرُودُها بِهذَا اللَّفظ مُستبعَدٌ لِما حوَتهُ المَنظُومة مِن تَقرِير قَول أَهل السُنّة و مُخالَفة عُلماء الكَلام و طَرائِقهم، فقَد يرجعُ هَذا لِتصحيفات بَعض النُّسَاخ فَإمّا أن يَكون النَّاسِخ صَاحب هَوى أو وقَعَ ذَلِكَ مِنهُ سهوًا فَ " النُّساخ مُسّاخ" .

° كَثِيرٌ مِن مُؤلفَات شَيخ الإسلام ابن تَيمية كَانت أَجوبةً لأَسئِلةٍ تَأتِيه مِن البُلدان، فَتُسمَى بِإسم ذَلك البَلد .

مِثل : «الوَاسِطية» نِسبةً لِـ "وَاسِط" .

يَا سَائِلِي عَن مَذهَبِي وَ عَقِيدَتِي °°° رُزِقَ الهُدَى مَن لِلهِدَايَةِ يَسأَلُ

يَا سَائِلِي : أَيْ يَا مَن سَأَلتَنِي ===> هَذا يُبيّن أنَّ القَصِيدة جَاءَت جَوابًا عَلى سُؤال سَائِلٍ .

° السَائِلُ فِي العقِيدة نَوعَين :

1. إمّا سَائِل مُسترشِد مُتَعلِّم، فَهَذا تُبيّن لهُ المَسائِل بِأَدِلتِهَا.

2. وَ إمّا سائِل مُتعنِّت مُجادِل ، فهذا يُعرضُ عَنهُ .

و السَائِلُ هُنا مُستَرشِد مُستَفِيد .

مَذهَبِي : تَحتَمِل أن يكون مَذهبُه في الفُرُوع أو مَذهَبُهُ فِي الإستِدلَال .

و الظَاهِرُ أنَّه يَقصِد مَذهبَه في الإستدلال، لأنَّه يُبيِّن فِيما بَعد أنَّ مَذهبهُ فِيه الإعتِماد علَى الوَحي : "أَقول قالَ الله جلَّ جلالُه و المُصطَفى الهَادِي" .

° الإستِدلَال نَوعَان :

1. مبنيٌ علَى الدَليل مِن كتابِ الله و سنَّةِ نبيِّه – صلى الله عليه و سلم – ===> يَقُود إلى العَقِيدة الصَحِيحَة .

2. مبنِيٌ عَلى العَقل أو الرَأي أو المَنامَات .... إلخ ===> يَقُود إلَى عَقِيدَة مُحدثَة مُبتَدعة .

° العَقائِد التِي بين النَّاس عَلى نَوعين :

عَقائِد نَازِلة : وَحيٌ مِنَ الله .... فَهِي صَحِيحَة .

عقَائِد نابِتَة : نَبَتَت فِي الأَرض أيْ لم يَنزِل بِها وحيٌ مِن الله تعالىَ ... فَهِي بَاطِلة .

وَ عَقِيدَتِي : أيْ التِّي أَعتَقِدُها، وَ أَدينُ الله بِها، و أدعُو إِليها، وَ أُدافِعُ عنهَا .

° الإعتِقَاد يُنسَبُ لِصاحبِهِ بِإعتِبَارين :

1. فعقيدَة أهل السُّنة تُنسب إليهِم بِإعتِبار أنَّهُم يَعتَقدونَها وَ يَدعُون إليهَا ، مثل : عقيدة ابن تيمِية، عقِيدة الشَافعيّ ...

2. أمّا عقائِد أهل الباطل فَتُنسَبُ إليهم بِإعتِبَار أنَّهُم مُؤَسِسُوهَا و مُخترِعُوها، مثل : عقيدة الجهم، عقيدة وَاصِل بنُ عَطاء ...

رُزِقَ الهُدَى مَن لِلهِدَايَةِ يَسأَلُ : هُناكَ إحتِمَالَين :

1. دُعاء :

رُزِقَ الهُدَى مَن لِلهِدَايَةِ يَسأَلُ : دَعَى النَّاظِمُ بالهِدايَةِ للسَائِلِ و لكُلِّ سائِلٍ عن الهُدَى، رَاغِبٍ فِي الحَق . و هذه الدَّعوة عظيمة لذا اِفترَض الله علينا أن نَدعُوه بهَا 17 مرَّةً فِي اليومِ و اللَّيلَة، بِعدد الرَكعات المَفرُوضة : ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الفاتحة:6 .

2. إخبَار:

رُزِقَ الهُدَى مَن لِلهِدَايَةِ يَسأَلُ : أي مَن كَانَ يَتحرَى الهِدَاية و يَرجُوها رَزَقَهُ الله بِهَا .

مَن لِلهِدَايَةِ يَسأَلُ : أي أنَّ الهِداية تحتَاجُ مِن العَبدِ بَذلَ الأسبَاب . مِن : دُعَاء، تَحَرٍ ... إلخ

° حَذفُ المُتعلِّق يُفيدُ العُموم. وَ الهِداية هُنَا ذُكِرَت مُجردَةً مِن المُتعلِّق، فَهِيَ تَتَنَاوَلُ الهِدَاية لكلِّ خيرٍ (هِدَاية للدِّين، هداية للعِلم النَّافِع، هِدَايَة للإستِقامة ...) .

° لا يَلِيقُ مِن بَابِ الأدبِ معَ الله، وَ إن كَانَ ذَلِك رَائِجًا في كُتُب النَّحو وَ القَوَاعِد أنْ يُقَال :

رُزِقَ : مَبنِيٌ لِلمَجهُول .

الهُدَى : نَائِب فَاعِل .

مِثلُ ذلِك أيضًا فِي : **خُلِق الإنسَان** .

وَ الأَصَحُ قَول :

رُزِقَ : فِعل مَاضِي مَبنِي لَم يُسَمَى فَاعِلُهُ .

الهُدَى : مَرفُوع مَا لم يُسَمى فَاعِلُه .

° إسم الله عزّ وجلّ " الرزَّاق" يَدُل عَلَى صِفة الرِزق .... وَ رِزقُهُ سبحَانَهُ عَلى عِبَادِه نوعَان:

1. رِزقٌ عَام : كالطَعَام، الشَرَاب، النَّوم ...إلخ . يشمُل الجَمِيع . و مِمَّا يَدُل علَيه قولُه تَعالَى : ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ هود:6.

2. رِزقٌ خَاص : و هو الهِداية للدين . خاصٌ بِمن اِصطَفاهُم الله و اِختَارَهُم . يَقُول تعالَى : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ فاطر:32 .

اِسمَع كَلامَ مُحقِّقٍ فِي قَولِهِ °°° لَا يَنثَنِي عَنهُ وَ لَا يَتَبَدَّلُ

اِسمَع : أيْ اِنتَبِه، مِثلُها أيضًا: اِعلَم . يُؤتَى بِهِما بينَ يَدي الأُمُور العَظيمَة التّي تَحتَاج إِلَى إهتِمام .

يقول الله تعالى : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ محمد:19 .

كَلَامَ مُحقِقٍ : ليسَت تَزكيَّةً للنَّفس، ولكِن لِإدخَال الطُمَأنِينَة عَلى السَائِل .

فِي قَولِهِ : أي فِي عقِيدَتِهِ . فَيُطلَقُ القَولُ و يُرَادُ بِه الإعتِقَاد، مثل قولِه تعالى : ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ البقرة :136 و في الحديث : ((قُل آمَنتُ بِالله ثُم اِستَقِم)) رواه مُسلم .

° القَولُ يتنَاوَل القَلب و اللِّسان، اللِّسانُ نُطقًا و القَلبُ إعتِقادًا .

لَا يَنثَنِي عَنهُ وَ لَا يَتَبَدَّلُ : هذه صِفَةٌ خَاصَة بأَهل السنَّة، صِفة الثَبَات عَلى الدِّين فَهُم على يَقِين بِما هُم علَيه مِن إعتِقَاد . عَكس أهل البَاطِل فهُم على إضطِراب فِي الدِّين لأنّهُم أهل جَدَل . حيثُ قَال أَحَد السَلف لِشَخصٍ جَاءَهُ مُجادِلًا :" أمَّا أنَا فعلَى بَيِّنَةٍ مِن عَقِيدَتِي وَ أمَّا أنتَ فشَاكٌ فاذهَب إلى شاكٍ مثلَك وَ جَادِله" .

° الإعتِقاد الصَحيح المُستمَد مِن كتاب الله و سنَّةِ نبيِّه – صلى الله عليه و سلم – أعظَم سبَب للثَبَات عَلى الدِّين و السَلامة مِن الشَّهوات و الشُبُهَات .

حبُّ الصَحابَةِ كُلِّهِم لِي مَذهَبٌ °°° وَ مَوَدةُ القُربَى بِهَا أتَوَسَلُ

° قَدَّمَ النَّاظِم بَيَان عقِيدَة أَهل السُنَّة و الجَمَاعَة فِي الصَّحَابَة. وَ فِي هَذَا التَّقدِيم مَقْصَد إذ أَنَّ فَسَاد إعتِقاد الإنسَان فِي الصَّحَابة فَسادٌ لِعقِيدَتِه فِي الجَوانِب الأُخرَى، وَ العَكسُ بِالعَكس .

° يقُولُ أَهل العِلم : "الطَّعْنُ فِي النَّاقِلِ طَعْنٌ فِي المَنْقُول" فَالذي يَطعَنُ فِي الصحابة إنّمَا هُو يَطعَن في الدِّين، لأنّهُم حَملَتُه و نَقَلَتُهُ للأُمَّة، وَ كيْفَ يُوثَقُ فِي دينٍ حمَلَتُهُ مَطعونٌ فِيهِم . قال أبو زُرعَة الرّازِي – رَحِمه الله – : "إذَا رَأَيتُم الرَّجُل يَنتَقِصُ أَحَدًا مِن أَصحَابِ رَسولِ الله – صَلى الله عَليهِ و سَلم – فَاعلَمُوا أَنَّهُ زِندِيقٌ، لأنَّ الدِّينَ حقٌ وَ القُرآن حقٌ وَ إنَّمَا أَدَى إلَينَا ذَلِكَ الصَّحَابَة، وَ هَؤُلاءِ أَرادُوا أَن يَجرَحُوا شَهُودَنَا فَهُم بِالجُرحِ أَولَى، فَهُم زَنَادِقَة" .

حبُّ الصَحابَةِ : أيْ كلُّ من أكرَمه الله بِصُحبة النَّبِي – صلى الله عليه و سلم – فإنَّ مَذهبِي حُبَّهُ حُبَّ عِبَادَة و تقرُبٍ إلى الله .

° حُبُّ أصحَابِ النَّبِيّ – صَلى الله عَليهِ و سَلَم – عَملٌ صَالِحٌ يُتقرَبُ بِهِ إلى الله سُبحانَهُ و تَعَالَى، بَل هُو سببٌ لِنَيلِ عَالِي الدَّرجات في الجَنَّة، إذ يُروَى عن أَنَسْ أنّ رجُلًا سَأَل النَّبيّ – صلى الله عليه و سلم – عَنِ الرَّجُل يُحِبُّ القَومَ وَ لَم يَعمَل عَمَلَهُم؟ فَقَال – علَيهِ الصلاة و السَلام – : " أَنتَ مَعَ مَن أَحبَبْت " .

° سُئِلَ الحَسَن البَصَري – رَحِمه الله – : "حُبُّ أَبِي بَكرٍ وَ عُمر سُنَّة؟". قَالَ: " لَا، فَرِيضَة" .

كُلِّهِم : أيْ جَمِيعًا دُون إستِثْنَاء .

لِي مَذهَبٌ : أيْ عَقِيدَةٌ أَعتَقِدُهَا .

° رَضِيَ الله عنِ الصَّحَابَة وَ أَثنى عَلَيهِم في القرآن و فِي كتُبِهِ المُنزَّلة قبلَهُ (فِي التوراة وَ الإنجِيل). و ما يدُلُ علَى ذلِك قولُه تعالى : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ

فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّار﴾ الفتح:29 .

وَ مَوَدةُ : أَي مَحبَّةُ .

القُربَى : أَي الذِين تَجمَعُهُم بِالنَّبِي – صلى الله عَليهِ و سلم – قرَابَةٌ فِي جَدِّه الأَقرَب عبد المُطلِّب.

° من كَان مُسلِمًا من قَرابَة النّبي – صلى الله عليه و سلم – فهُو مِن آل النّبِي – عليهِ الصلاة و السَلام –، كَما يَدخُل فِي الآل زَوجَاتُه رضيَ الله عنهُنَّ .

° محبَّةُ قرابَة النّبيّ – صلى الله عليه و سلم – عَملٌ صَالِحٌ مِثلُهُ مثل حبُّ الصَّحابة . و قد أَوصَى– عليه الصلاة و السلام – بِقَرَابتِه فقال : ((أُذَكِرُكُم الله فِي أَهلِ بَيتِي، أُذَكِرُكم الله فِي أهلِ بيْتِي، أذَكِرُكم الله فِي أَهلِ بَيتِي)) رَواه مُسلم، و أَهل السُّنّة وَحدَهُم الذِينَ حَفِظُوا هذِه الوَصِيَّة مِن غيرِ إفرَاطٍ وَ لا تَفرِيطٍ .

بِهَا : أيْ بِمودَّةُ القُربَى (بِالعَمَل الصَالِح) .

أتوَسَلُ : أيْ إلى الله سُبحانَهُ و تَعالَى .

° الأَعْمَال الصَالِحَة وَسِيلَة مِنَ الوَسائِل التِي يُتوَسلُ بِها إلى الله تعالى، لقولِه عزَّ وجل : ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ الإسراء:57 . (الوَسِيلَة أي القُرْبْ) .

وَ لِكُلِّهِم قَدْرٌ عَلاَ و فَضَائِلٌ °° لَكِنَّمَا الصِّدِّيقُ مِنْهُم أَفضَلُ

وَ لِكُلِّهِم : أَيْ لِجَميع الصَّحَابَة .

قَدْرٌ عَلاَ : أيْ شَرَفٌ رَفِيع وَ مَنزِلَة سَامِية .

° سُنَّةِ نَبِيِّنا مُحمد – صلى الله عليه و سلم – مَليئَة بالأَحادِيث الدَّالة على رَفِيع قَدرِ الصَّحَابة – رضي الله عَنهُم –، مِن ذَلِك قولُه – عليهِ الصلاة وَ السَلام – : ((خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)) كمَا جاءَ فِي الصَّحِيحَين، و كَذَا قَولُه – صلَى الله عَليه وَ سلم – : ((لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ)) رواه البُخاري و مُسلِم .

و فَضَائِلٌ : فَضَائِل عَدِيدَة يَشتَرِك فِيهَا الصَحابَة عَلَى تَفَاوُتٍ بَيْنَهُم فِي ذَلِك قُوَّة و كَثرَة .

لَكِنَّمَا الصِّدِّيقُ مِنْهُم أَفضَلُ : أيْ لكِنَّ صِدِّيقَ الأُمَة أبو بَكر – رَضِي الله عنه – أَفضَلُ الصَّحَابَة .

° الصَّحَابَةُ بَينَهم تَفَاضُل، و يُبيّن ذَلِك قَولُه تَعَالى : ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ الحديد:10 . أَفضلُهم أَبُو بَكْر ثمَّ عُمَر ثُمَّ عُثمان ثُمَّ عليّ ثُمَّ بَقِيَّة العَشَرَة المُبشَّرِين بِالجَنّة . قال – صَلى الله عَليهِ و سلَم – : ((أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ وَسَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ وَسَعِيدٌ فِي الْجَنَّةِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ)) .

° أَبُو بَكْر – رَضِيَ اللهُ عَنهُ – أَفضَلُ النَّاسِ إطلَاقًا بَعدَ الأنبيَاء فِي جَمِيع الأُمَم وَ مِنَ الشَوَاهِد علَى ذلِك قَولُه – صَلى الله علَيهِ و سَلَم – : ((أَبُو بَكْرٍ وَ عُمَرُ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِن الْأَوَّلِينَ وَ الْآخِرِينَ مَا خَلَا النَّبِيِّينَ وَ الْمُرْسَلِينَ)) وهو حديث صحيح ثابت .

° لَمَا سُئِل النّبي – صلى الله عليه و سلم – : مَن أحبُّ الرِّجال إليكِ ؟ قَالَ – عليهِ الصلاة وَ السَلام – : ((أبُو بَكر)) .

° أَبُو بَكر هُو الصَّحابِيُّ الوَحِيد الذِي ذُكِرَ بِوَصفِ الصُحبَة فِي القرآن، فِي قولِه تَعَالَى : ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ التَوبة:40 .

° الصِّدِّيقِيَة هِيَ أَعلَى رُتبَة بَعد الأنبياء لِقولِه تَعالَى : ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ النّساء:69 .

وَ أَقُولُ فِي القُرْآنِ مَا جَاءَتْ بِهِ °° آيَاتُهُ فَهُوَ الكَرِيمُ المُنْزَلُ

وَ أَقُولُ فِي القُرْآنِ : أيْ عقِيدَتِي فِي القرآن .

مَا جَاءَتْ بِهِ آيَاتُهُ : أيْ مَا دلَّت عَلَيه آيَات القُرآن الكرِيم، وَ آيَات القُرآن دَلَّت عَلَى أنَّ القُرآن وحيٌ مُنَزَّلٌ مِن الله سبحانهُ و تَعَالَى، سَمِعَه جِبرِيل مِنَ الله، نَزَلَ بِهِ وَ بَلَّغَهُ للنَّبِي مُحمَد – صلى الله علَيهِ و سَلم – : ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ الشعراء:192~195 .

° عقِيدَتُنَا فِي القُرآن أنَّه كلامُ الله : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ التوبة:6، فَالكَلَامُ يُضَافُ إِلَى مَنْ قَالَهُ إِبتِدَاءًا لَا إِلَى مَنْ نَقَلَهُ أَدَاءًا .

فَهُوَ الكَرِيمُ : أَشَارَ إِلَى كَرَم القُرآن لكَثرةِ خيرَاتِه و مَنافِعه، و الكَرِيم صِفَةٌ ثَابِتَةٌ لِكِتاب الله .

° الكَرَمُ فِي اللُّغَة : سِعَةُ الفَضائِل وَ الخَيرَات و تَعَدُّدِهَا .

° لَفظَة "القَدِيم" التِّي جَاءَت فِي بَعْض النُّسَخ مَكَان "الكَرِيم" لَيسَتْ مِن النَّظْم إطلَاقًا سَواءً كَانَ لِشَيخ الإسلَام اِبْن تَيمِيَّة أَو لِغَيرِه، لِأَنَّها لَفظَة مُحدَثَة لَم تَدُل عَلَيهَا آيَات القُرآن وَ بِذلكَ تَتَنَافَى مَع مَا جَاء بِه سِيَاق النَّظم، وَ هَذَا مَا يَقُودُنا إِلى الجَزْم بِأَنَّها مِن تَصحِيفَات بَعْض النُّسَاخ .

° وَصْف القُرآن بِـ "القَدِيم" خَطَأ عَقَدِيٌ، كما بَيّن ذَلِكَ أَهلُ العِلم وَ مِنهُم شَيخ الإسلام ابن تَيمِية – رَحِمه الله – إِذْ قَال فِي مَجمُوع فَتاواه : "لَم يَقُل أحدٌ مِنَ السَلف إِنَّ القُرآن قَدِيم، و إِنَّمَا قَالوا هُوَ كَلام الله غَيرُ مَخلُوق، وَ قَالُوا لَم يَزَل الله مُتَكَلِّمًا إِذَا شاء وَ مَتى شَاء وَ كيفَ شاء و كَما شَاء" كَمَا جَاءَ عَنهُ – رَحِمه الله – أَنَّ أَوَّل مَن أَحدَثَ هذا القَول هُو : أَبُو عَبدِ الله سَعِيد ابن كُلَّاب .

المُنْزَلُ : أيْ المُنْزَلُ مِن الله، و هُنَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ القُرآن كَلَام الله غَير مَخلُوق .

فَهُوَ الكَرِيمُ المُنْزَلُ : هَذِهِ خُلاصَة الإعتِقاد فِي القُرآن مِمَّا هُو مُستمَدٌ مِن القُرآنِ نَفسِه لِقولِه تَعَالى :

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ، وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ، إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ، فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ، لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ، تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الواقعة:75~80 .

وَ أَقُولُ قَالَ الله جَلَّ جَلَالُهُ °° وَ المُصْطَفَى الهَادِي وَ لَا أَتأَوَّلُ

وَ أَقُولُ : أيْ فِي صِفات الله .

قَالَ الله جَلَّ جَلَالُهُ وَ المُصْطَفَى الهَادِي : أيْ لَا أذكُرُ صِفَةً إلَّا بِدَلِيلِهَا مِنَ الكِتَاب و السُنَّة .

° قال الإمام أحمد – رحمه الله – :" نَصِفُ الله بِما وَصَفَ بِهِ نَفسَه وَ بِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُه – صلى الله عليه و سلم – لَا نَتَجَاوَزُ القُرآنَ وَ الحَدِيث " .

° باب الصِّفَات عِند أهل السُنّة و الجَمَاعة تَوقِيفِي أيْ يُتَوقَف فِيه عَلى مَا جَاء فِي الكِتاب و السُنَّة. كَمَا قَال الأوزَاعي – رَحِمَه الله – : " نَدُور مَع الكِتَاب و السُّنّة حَيثُ دَارَا " نَفيًا و إثْبَاتًا .

° هُنَاك 3 مُقَدِمَات تَمْهِيدِيَّة فِي بَاب الصِّفات :

1 . أنّ الله سُبحانَه وَ تَعَالَى غيبٌ لَم نَرَه .

2 . أنَّهُ لَا أَحَدَ أَعلَمَ بِاللهِ مِنَ الله .

3 . لَا أَحَدَ أَعلَمُ بِالله مِنْ خَلقِ الله مِن رَسُول الله – صَلى الله عليهِ و سلَم –، حَيثُ قَال عليه الصلاة و السلَام : ((وَ أعلَمُكُم بِاللهِ أَنَا)) رواه البُخاري .

قَالَ الله جَلَّ جَلَالُهُ : أَيْ أُثبِتُ صِفَات الله تَعَالى الثَابِتَة فِي كِتابِه .

أمثِلَةٌ عَلَى إثبات صِفات الله مِن القُرآن :

°°° نُثْبِتُ اليَدَيْن لله تَعَالَى لِقولِه جلَّ جلَالُهُ : ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ ص:75، و لِقولِه أيضًا : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ المائدة : 64 .

°°° نُثْبِتُ العَيْن لله تَعالَى لِقولِه جلَّ جلَالُهُ : ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ القمر:14 .

°°° نُثْبِتُ الرِضَى لله تَعالىَ لِقولِه جلَّ جلَالُهُ : ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ البيِّنة:08 .

°°° نُثْبِتُ الغَضَب لله تَعالى لِقولِه جلَّ جلَالُهُ : ﴿غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ المُجادلة:14 .

°°° نُثْبِتُ اِستوَاءَهُ تَعَالَى عَلَى العَرش لِقولِه جلَّ جلَالُهُ : ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ الأعراف:54، و لِقولِه أَيضًا : ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ طه:05 .

°°° نُثْبِتُ عُلُوَهُ تَعَالىَ ذَاتًا وَ قَدرًا وَ قَهرًا لِقولِه جلَّ جلَالُهُ : ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ البقرة:255، و لِقولِه أيضًا : ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ الأعلى:01 .

وَ المُصْطَفَى الهَادِي : أيْ النَّبِي – صلى الله عليه وسلم – .

المُصْطَفَى : أيْ الذِي اِصطَفَاهُ الله، فَهُوَ صفوَةُ عِبَاد الله لِقولِه تعَالى : ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ الحج:75 .

الهَادِي : أيْ هِدَايَةَ الإرشَاد لقَولِه تَعالَى : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ الشورى:52، أمَّا هِداية التَّوفِيق فَليسَت إلَّا لله، لِقولِه تَعالى : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ القصص:56 .

° قولُه "وَ المُصطفى الهَادِي" مَعطُوفٌ على "الله جلّ جلالُه"، أيْ وَ أَقُول قالَ المصطَفَى الهَادِي.

أمثِلَةٌ عَلَى إثبات صِفات الله مِن السُنَّة :

°°° نُثبِتُ الفَرَح صِفَةً لله تَعالَى لِقولِه – صلى الله عليه و سلم – : ((لله أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوبَةِ عَبدِهِ إِذَا تَاب مِن أَحَدِكُم أَضَلَّ رَاحِلَتَهُ بِفَلَاة وَ عَلَيهَا طَعَمُهُ وَ شَرَابُهُ، حَتَّى إِذَا أَيِسَ مِنْهَا إِستَظَلَّ تَحتَ ظِلِّ شَجَرَةٍ يَنتَظِرُ المَوت فَبَينَمَا هُوَ كَذَلِك إِذَا بِخِطَام نَاقَتِهِ عِنْدَ رَأسِهِ فَأَمسَكَ بِخِطَام النَّاقَة و قَالَ من شِدَّةِ الفَرَح : اللَّهُم أَنتَ عَبْدِي وَ أَنَا رَبُّك)) رواه مَسلِم .

°°° نُثْبِتُ الضَّحِك صِفَةً لله تَعَالَى لِقَولُهُ – صلى الله عليه و سلم – : ((ضَحِكَ رَبُّنَا)) .

° نُثبِتُ الصِّفات لله تَعَالىَ عَلَى وَجهٍ يَلِيقُ بِهِ سُبحَانَه، عَلَى حدِّ قولِهِ تَعَالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ الشورى:11، و قولِه أيْضًا : ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ مريم:65 .

وَ لَا أَتَأَوَّلُ : أيْ لَا أَخُوضُ فِي صِفَات الله بِتَأوِيل، وَ التَّأوِيل هُنَا هُوَ التَّحْرِيف .

° التَّأوِيل الذِي وَقَع فِيه أَهْل الكَلَام إنَّمَا سَبَبُهُ التَّشْبِيه، وَ لِيَسْلَمُوا مِنْ ذَلِكَ التَّشبِيه الذِي وَقَعُوا فِيه لَجَؤُوا إلى التَّأوِيل . مِثال ذلِك : عِندَمَا يَقرَأُ أَحَدُهُم قولَه تَعَالَى : ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ ص:75، لَا يَخطُر فِي ذِهنِهِ إلَّا اليَد التِّي يَرَاهَا فِي الشَّاهِد (هُنَا التَّشبِيه)، و لِيُنزِّهَ الله من ذلِك يَقُولُ : "يَدُهُ=قُدرَتُهُ" (هُنَا التَّأوِيل) .

وَ جَمِيعُ آيَاتِ الصِّفَاتِ أُمِرُّهَا °° حَقًّا كَمَا نَقَلَ الطِّرَازُ الأَوَّلُ

وَ جَمِيعُ آيَاتِ الصِّفَاتِ أُمِرُّهَا : هَذِهِ قَاعِدة ثَابِتَة عِنْد أَهْل السُّنَّة و الجَمَاعَة فِي آيَاتْ الصِّفَاتْ أن تُمَرَّ بِلَا كَيْف؟ .

حَقًّا : أيْ عَلَى حَقِيقَتِهَا كَمَا جَاءَتْ فِي كِتَاب الله و سُنّةُ نبيِّه – صلى الله عليه و سلم –، حيثُ يَقول السَلَف : "أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا كَيْف؟" .

° إمرَارُهَا كَمَا جَاءَتْ إنَّمَا يَكُونُ بِإثبَاتِ مَعنَاهَا، لأَنَّ الصِّفات مِن حَيثُ المَعَانِي مَعلُومَة وَ مِن حَيثُ الكَيْفِيَة مَجهُولَة، كَمَا قَالَ الإمَام مَالِك – رَحِمَه الله –: " الإسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ وَ الكَيْفُ مَجْهُول، وَ الإيمان بِهِ وَاجِبٌ وَ السُؤَالُ عَنْهُ بِدعَة " .

° مَا لَا كيفيَّة لِصِفَتِهِ عَدَم، أمَّا صِفَاتُ الله فَلَهَا كَيْفِيَّة وَلَكِن لَا نَعلَمُهَا، لِذَا نَقُول الكَيف مَجهُول لَا مَعدُوم .

كَمَا نَقَلَ الطِّرَازُ الأَوَّلُ : أيْ كَمَا قَال السَّلَف .

وَ أَرُدُّ عُهْدَتَهَا إِلَى نُقَّالِهَا °° وَ أَصُونُهَا عَنْ كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ

وَ أَرُدُّ عُهْدَتَهَا : العُهْدَة : أيْ التَبِعَة وَ المَسؤُولِيَّة .

° الذِي يُتَلَقَى بِالقَبُول فِي بَاب الصِّفَات هُوَ مَا جَاءَ مِنَ الأَحَادِيث الصَّحِيحَة الثَّابِتَة عَن رَسُولِ الله – صلى الله عليه و سلم – مُتَوَاتِرَهَا وَ آحَادهَا .

إِلَى نُقَّالِهَا : أيْ الصَّحَابَة – رَضِي الله عَنهم – .

وَ أَصُونُهَا : أيْ أُنَزِّهُ صِفَات الله الثَابِتَة فِي القُرآن و السُنَّة .

عَنْ كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ : أيْ عنْ التَّكيِيف.

° التَّكْيِيف : إعمَال العَقْل وَ الفِكْر فِي مُحَاوَلَة مَعْرِفَة الكَيْفِيَّة .

° التَّكيِيفُ بَاطِلٌ و الدَّليلُ قَولُهُ تَعَالَى : ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ النَّحل:74، وَ يَكْفِي لِإبطالِهِ قَولُ : "الله أكبَر"، كمَا قَالَ النَّبِي – صَلى الله عَليه و سلم – لِعَدِيّ بنُ حَاتِم : ((يَا عَدِيّ مَا يُفِرُّك؟ أَيُفِرُّكَ أَنْ يُقَال: لَا إِلَهَ إِلَا الله؟ وَ هَلْ إِلَهٌ غَيرُ الله، يَا عَدِيّ مَا يُفِرُّك؟ أَيُفِرُّكَ أَنْ يُقَال: اللهُ أَكبَر؟ وَ هَلْ شَيءٌ أَكبَرُ مِنَ الله)) .

° بَيَّنَ النّاظِم فِي هَذِه الأَبيَاتْ ال 3 السَابِقَة مُعتَقَد أَهل السُنَّة وَ الجَمَاعَة فِي صِفَات الله .

قُبْحًا لِمَن نَبَذَ القُرَانَ وَرَاءَهُ °° وَ إِذَا اِسْتَدَلَّ يَقُولُ قَالَ الأَخْطَلُ .

° يُقَال أَهْل السُّنَّة وَ الجَمَاعَة لِأَنَّ السُنَّة تَجْمَع، وَ سَبَبُ هَذَا الجَمع أَنَّ مَصدرهُم فِي التَّلَقِي واحِد كِتاب الله و سُنّة نبيّه، وَ يُقَال أَهْل البِدعَة وَ الفُرقَة لِأَنَّ البِدعَة تُفَرِّق، وَ سَبَبُ هَذِه الفُرقَة تَنَوُّع مَصَادِر التَّلَقِي مِن مَنَامَات وَ حِكَايَات ...إلخ

قُبْحًا : أيْ أَقْبِحْ بِحَالِه، فَحالُه ذَمِيمَة .

نَبَذَ : أيْ أعرَضَ. قال الله تعالى : ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ البقرة:101 .

وَ إِذَا اِسْتَدَلَّ: أيْ إِذَا أَرَادَ أَن يَستَدِل .

يَقُولُ قَالَ الأَخْطَلُ : هَذَا لَيسَ تَحدِيد وَ لَكِنَّهُ مِثَال لِطَرِيقَتِهِم فِي الإِسْتِدلَال .

° يُذكَر فِي تَرجَمَة الأَخطَل أَنَّهُ كَانَ سَلِيطَ اللِّسَان، مُدمِن لِلخَمْر إضافةً إِلَى أَنَّه نَصْرَانِي .

° الخَطَل فِي اللُّغَة الخَطَأ .

° أَوَّلُ مَن أَنشَأَ بِدعَةَ تَقسِيم الكَلَام إِلَى نَفسِيّ و لَفظِيّ هُو ابن كُلَّاب، حيثُ قَال إِنَّ الذِي يُضَافُ مِن الكَلَامِ إِلَى الله هُوَ النَّفسِي إِذ هُوَ مَعنَى قَائِمٌ فِي النَّفْس، و أَمَّا اللَّفظِيُّ الذِي لَهُ حُرُوف وَ كَلِمَات و أصوات (القُرآن) فَلَا يُنسَبُ إِلَى الله، إِنّما هُوَ عِبَارَةٌ تُحكَى عَن كَلَام الله، مُستَدِلِّينَ عَلَى ذَلِكَ بِهَذَا البَيْت لِلأَخْطَل :

إِنَّ الكَلَامَ لَفِي الفُؤَادِ وَ إِنَّمَا °° جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الفُؤَاد دَلِيلًا

و الشَّاعِر لَم يَقْصِد مَا ذَهَبوا إِليهِ و يدُلُّ علَى ذَلِك البَيت الذِي قَبلَه :

لَا يُعْجِبَنَّكَ مِنْ أَثِيرٍ لَفْظُهُ °° حَتَى يَكُونَ مَعَ الكَلَامِ أَصِيلًا

قَالَ السِجْزِي : "بِقَولِهِم هَذَا أَضحَكُوا عَلَى أَنفُسِهِم العُقَلَاءَ و المَجَانِين، لأنَّ مِن لَازِم قَولِهِم هَذَا أَنَّ الأَخرَص يُسَمَى مُتكَلِّمًا" لِأَنَّهُ يَقُومُ فِي نَفْسِهِ كَلَام وَ يُعَبِّرُ عَنْهُ بِالإِشَارَة، وَ لَكِنَّهُ لَا يُسَمَى مُتكَلِمًا بَل أخرصًا .

وَ المُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ حَقًّا رَبَّهُمْ °° وَ إِلَى السَّمَاءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ

° فِي هَذَا البَيت ذَكَرَ النَّاظِم عَقِيدَتَين لأَهْل السُنَّة :

1. فِي الشَطر الأَوَّل : ذَكَر عَقِيدَتَهُم فِي إِثبَات الرُؤيَة لله .

2. فِي الشَطر الثَانِي : ذَكَر عَقِيدَتَهم فِي إِثبَات النُّزُول .

وَ المُؤْمِنُونَ : أَيْ أَهْل الإِيمَان بِالله ربًّا و بالإِسلَام دِينًا وَ بِمُحَمَدٍ – صَلى الله عَليه و سلم – رَسُولًا .

يَرَوْنَ حَقًّا : أيْ رُؤيَةً حَقِيقِيَّة بِالأَبْصَار . فَقَد جَاءَ فِي الصَحِيحَين أَنَّ رَسُولِ الله – صلَى الله عليه و سلَم – نَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيلَةَ البَدْرِ وَ قَال: ((إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَ صَلاَةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا)) .

° ثَبَتَ عَنِ النَّبِي – صَلَى الله عَلَيهِ وَ سَلَم – أَنَّهُ كَانَ يَدعُو فِي صَلَاتِه : ((اللَّهُمَ إِنِّي أَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ)) رَوَاه النّسائِي .

° رُؤيَة الله تعالى يَوم القِيَّامَة هِيَ أعظَمُ وَ أَكمَلُ نَعِيم يَنَالُهُ أَهل الإِيمَان يَومَ القِيَّامَة . كما قَالَ النّبِي – صلى الله عليه و سلم – : ((إِذَا دَخَلَ أَهلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَك وَ تَعَالَى، تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدَكُم؟ فَيَقُولُونَ أَلَم تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَم تُدْخِلْنَا الجَنَّة و تُنَجِّنَا مِنَ النَّار؟ قَالَ: فَيَكشِفُ الحِجَابَ، فَمَا أُعطُوا شَيئًا أَحَبَّ إِلَيهِم مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِم عَزَّ وَجَل)) رواه مُسلِم .

° لَمَّا ذَكَرَ الله رُؤيَة المُؤمِنِين رَبَّهُم يومَ القِيَامَة، قَال : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ، تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ، كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ، وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ، وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ، وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ، إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ، فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ القيامة:22~31، هَذَا مَحرُوم مِن الرُؤيَة .

بَعض أدلّة إثبَات الرُؤية مِن القُرآن :

°°° أخبَرَ الله تعَالَى عَن المُؤمِنِين فِي الجَنَّة، قَال : ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ ق:35، جَاءَ فِي السُنَّة تَفسِير "المَزِيد" برُؤية الله تَعَالى يَومَ القِيَامَة .

°°° قال الله تعالى فِي الكُفّار : ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ المطفّفين:15، فَمَن أَبْطَل رُؤية الله، سوَّى المُؤمِنَ بالكَافِر وَ جَعَلَ الجَمِيع يَشتَرِكُ فِي الحَجْب، الذِي هُو مَخصُوصٌ بِالكُفَّار.

وَ إِلَى السَّمَاءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ : صِفَة النُّزول هِي صِفَة فِعليَة ثابتَة فِي السُنّة، جَاءَت فِي حَدِيثٍ مُتَواتِر عَن 28 صحابيًّا، ذَكَرَهُم ابن القَيِّم – رَحِمه الله – فِي كِتَابِهِ «الصَوَاعِق المُرسَلَة»، حَيثُ قَالَ عَلَيهِ الصَّلاة و السَلَام : ((يَنزِل رَبُّنا إِلىَ السَّمَاء الدُّنيَا كُلَّ لَيلَةٍ فِي ثُلُث اللَّيل الآخر، فَيَقُول هَل مِن دَاعٍ فَأستَجِيب لَه، هَل مِن سَائِل فَأُعطِيه، هَل مِن مُستَغفِر فَأغفِر لَه)) .

° لَمَّا قَالَ أَحَدُ الجَهمِيَّة رادًا حَدِيث النُّزول : "أَنَا لَا أُؤمِنُ بِرَبٍ يَتَحَوَّلُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَان"، ردَّ عَلَيْه السُنِيّ : "وَ أَنَا أُؤمِنُ بِرَبٍ يَفْعَلُ مَا يَشَاء " .

بِغَيْرِ كَيْفٍ : فَإيمَانُنَا بِصِفَات الله هُوَ إِثْبَات وُجُود، لَا إِثْباتُ تَحدِيد وَ تكْيِيف .

° اللَّوَازِم التِّي تَلزَم صِفَة المَخلُوق، لَا يَجُوزُ أَن تُضَاف إِلَى صِفَات الخَالِق .

° لَا نُكيِّف، وَ لَا نَتأَوَّل، وَ مِنَ التَّأوِيل الذِي وَقَع فِيه المُعَطِّلَة فِي صِفَة النُّزول قَولُهُم : المُراد بِالنُّزول : نُزُولُ رَحمَتِه .

وَ أُقِرُّ بِالمِيزَانِ وَ الحَوضِ الذِي °° أَرْجُو بِأَنِّي مِنْهُ رِيًّا أَنْهَلُ .

° فِي هَذِه ال4 أبيَات التَالِيَّة ذَكَر النَّاظِم عَقِيدَة أهل السُنَّة و الجَمَاعة فِي اليَوم الآخر .

° الإيمَان بِاليَوم الآخِر أصلٌ مِن أُصُول الإيمَان و رُكن مِن أَركَانِ الدّين، قَال تَعَالى : ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ البَقرة:177.

° الإيمَان بِاليَوم الآخِر هُوَ الإيمَان بِكُلّ مَا يَكُون بَعدَ المَوت إبتِدَاءًا مِنَ القَبْر .

أُقِرُّ : أيْ أعتَقِدُ إعتِقَادًا جَازِمًا .

بِالمِيزَانِ : مِيزَانٌ حَقِيقِيّ لَهُ كِفَتَان، كَمَا جَاءَ فِي حَدِيث البِطَاقَة : ((فَتُوضَع السِّجِلَّات فِي كِفَّة وَالبِطَاقَة فِي كِفَّة)) رَواه الحاكم .

° المِيزَانُ حَقٌ بِالدَّلِيل مِنَ الكِتَاب وَ السُنَّة، يَقُولُ الله تَعَالَى : ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ الأنبياء:47، وَ يقُول أيضًا : ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ المؤمنون:102~103.

° قَد دَلَّت النُّصُوص عَلَى أنَّ المِيزان تُوزَنُ بِهِ الأَعمَال، وَ تُوزَنُ بِهِ صَحَائِفُ الأَعمَال التِّي كُتِبَت فِيهَا أَعمَال العِبَاد، وَ يُوزَنُ فِيه العِبَاد .

° ذِكرُ اللِّسَان لِلمِيزَان لَم يَأتِي فِي حَدِيثٍ يُرفَع إِلَى النَّبِي – صَلَى الله عَليهِ وَ سَلَم –، إنَّمَا جَاءَ فِي بَعْض الآثَار أحدُهما يُروَى عَن اِبنِ عَبَاس – رضي الله عنهُما – ، وَ آخر لِلحَسَن البَصْري. أَمَّا الكِفَتَّان فَهُمَا ثَابِتَتَان فِي غَيرِ مَا حَدِيث عَن الرَّسُولُ – صلى الله عليه و سلم – .

وَ الحَوضِ : أَيْ الحَوض المَورُود، الذِي مَن شَرِب مِنهُ شربَةً لَم يَظْمَأ بَعدَهَا أَبَدًا .

° الحَوْضُ يَرِدُهُ النَّبِي – صَلَى اللَّه عليه وَ سَلَم –، وَ يَرِدُهُ أَتْبَاعُهُ مِن أُمَّتِهِ عَليهِ الصَلاة وَ السَلاَم. أَمَّا أَهل الإِحدَاث فِي دينِ الله تَعَالَى، فإِنَّهم يُبَادُونَ عَن الحَوض، حَيثُ يَقُولُ النَّبِي – صَلَى الله عليه وَ سَلم – : ((أصحابي أصحابي)) فَيُقال : "إِنَّك لَا تَدرِي مَا أَحدَثُوا بَعدَك " .

° جَاءَ وَصْف الحَوْض فِي السُنَّة بِأَنَّ طُولَه شَهْر وَ عَرضَهُ شَهْر وَ مَاءَه أَحلَى مِنَ العَسَل وَ أَطْيَب مِن رَائِحَة المِسْك وَ عَدَد كِيزَانِه كَعَدَد نُجُومُ السَّمَاء وَ أَنَّ مَن شَرِبَ مِنْه شَرْبَةً لَم يَظْمَأ بَعدَهَا أَبَدًا .

° جَاءَ فِي حَدِيثٍ ثَابِتٍ عَنِ النَّبِي – صَلَى الله عَلَيه وَ سَلَم – أَنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْض .

أَرْجُو : أَيْ أَطمَعُ مِنَ الله تَعَالَى .

رِيًّا : ذَهَابُ الظَمَأ .

أَرْجُو بِأَنِّي مِنْهُ رِيًّا أَنْهَلُ : أَيْ أرجُو مِن الله تَعَالى أن يُكرِمَنِي بِأَن أَرتَوِي مِنَ الحَوض حَتَّى يَحصُلَ لِي الرِّي .

وَ كَذَا الصِّرَاطُ يُمَدُّ فَوْقَ جَهَنَّمٍ °° فَمُسَلَّمٌ نَاجٍ وَ آخَرُ مُهْمَلُ

وَ كَذَا الصِّرَاطُ : أيْ وَ أُقِرُّ بِالصِّرَاط .

° الصِرَاط جِسْرٌ يُمَدُّ فَوقَ جَهَنَّمٍ وَهُوَ أَحَدُّ مِن السَيْفِ وَ أَدَقُ مِنَ الشَعر، و لا طَرِيق إِلىَ الجنّة إِلّا بالمُرورِ من فَوْقِهِ، قال تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا، ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ مريم:71~72.

فَمُسَلَّمٌ نَاجٍ وَ آخَرُ مُهْمَلُ : النَّاسُ عَلى هَذا الصِرَاط 3 أقسَام، كَمَا قَالَ – علَيهِ الصَّلاة و السَلام – : ((فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّم)) رواه البُخاري .

° المُكَردَس هُوَ الذِي تُجْمَعُ يَدَاهُ وَ قَدَمَاه وَ يُلْقَى .

° نَصَبَ الله سُبحَانَه وَ تَعَالَى لِعِبَادِهِ في هذه الدُنيَا صِراطًا وَ أَمَرَهُم بِإِتِّبَاعِهِ، قَال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ الأنعام:153، وَ بِحَسبِ لُزُوم النَّاس بِهذ الصِّرَاط فِي الدُّنيا تكون حالُهم يَومَ القِيَّامَة عَلَى الصِّرَاط الذِّي يُنصَبُ فَوقَ جَهَنَّم .

وَ النَّارُ يَصْلَاهَا الشَّقِيُّ بِحِكْمَةٍ °° و كَذَا التَّقِيُّ إِلَى الجِنَانِ سَيَدْخُلُ

وَ النَّارُ : أيْ الدَّار التِّي أَعَدَّهَا اللهُ تَعَالَى لِعَذَابِ مَن عَصَاه، وَ مَكَرَ عَنْ تَوْحِيدِه .

يَصْلَاهَا الشَّقِيُّ : أَيْ أَهْلُ الشَّقَاء الذِّينَ كَانَت حَيَاتُهُم فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَيَاةَ شَقَاء – كُفْرٌ بِالله، إِعْرَاض عَن دِينِ الله وَ صُدُود عَن طَاعَة الله – دَارُهُم النَّار .

° نَارُ الكُفَّار يُخَلَّدُونَ فِيهَا، أَمَّا نَارُ عُصَاة المُوَحِدِين فَدُخُولُهم فِيهَا دُخُولُ تَطهِير وَ تَنقِيَّة مِنَ الذُنُوب، فَقَد جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْن أَنَّ أَهلْ الكَبَائِر يَخْرُجُونَ مِنَ النَّار غَبَائِر غَبَائِر.

بِحِكْمَةٍ : أيْ مَنْ دَخَلَ النَّار دَخَلَهَا بِحِكْمَةٍ وَ عَدلٍ مِنَ الله، وَ لَا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ مَظلُومًا ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ فصّلت:46، أمَّا مَن دَخَلَ الجَنَّة دَخَلَهَا بِفَضلٍ مِنَ الله تَعَالَى .

و كَذَا التَّقِيُّ : أيْ أَهلُ التَّقوَى – الذِينَ اتَّقَوا سَخَطَ الله وَ أَقبَلُوا عَلَى الله بِالعِبَادة – .

° التَّقوَى : العَمَل بِطَاعَةِ الله عَلَى نُورٍ مِنَ الله رَجَاءَ ثَوَابِ الله، و تَرْكٌ لِمَعصِيَةِ الله عَلَى نُورٍ مِنَ اللهِ خِيفَةَ عَذَابِ الله . (عَلَى نُورٍ مِنَ الله أيْ عَلَى عِلمٍ و بَصِيرَةٍ لَا عَن جَهل) .

إِلَى الجِنَانِ : أيْ إِلَى جَنَّات النَّعِيم، و هِيَ دَارُ النَّعِيم التِّي أَعَدَّهَا الله لِعِبَادِهِ المُتَّقِين، قَالَ تَعَالَى : ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ القلم:34.

سَيَدْخُلُ : أيْ مَآلُهُ .

° ذَكَر النَّاظِم فِي هَذَا البَيت عَقِيدَة أَهْل السُّنَّة وَ الجَمَاعَة فِي الجَنَّة و النَّار، التِّي يُمكِن تَلخِيصُهَا فِي :

1 . أنَّ الجَنَّةَ حَقٌ وَ النَّارَ حَقٌ .

2 . أَنَّ الجنَّة و النَّار مَخلُوقتَان وَ مَوْجُودتَان الآن. لِقَولِه تَعَالَى : ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ آل عمران:133، و قولِه أيضا : ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ البَقرة:24 . وَ المُعَدُّ مَوجُود .

3 . أنَّ الجَنَّة و النَّار بَاقِيَتَان لَا تَفْنَيَان أَبَدًا. جَاءَ فِي صَحِيحَي البُخَاري و مُسلِم عن النَّبي – صَلى الله عَلَيهِ و سَلم – أنَّهُ قَال : ((يُؤْتَى بِالمَوتِ يَومَ القِيَّامَة كَهَيْئَة كَبْشٍ أَمْلَح وَ يُوضَعُ بَيْنَ الجَنَّةِ وَ النَّار، فَيُنَادِي مُنَادٍ يَا أَهلَ الجَنَّة فَيَشْرَئِبُّون وَ يَنْظُرُونَ فَيُقَالُ لَهُم: أَتَعْرِفُونَ هَذَا . فَيَقُولُونَ : نَعَم نَعرِفُه هَذَا المَوت، لِأَنَّهُم كُلُّهُم قَد رَآه وَ يُنَادَى أَهلُ النَّار، يَاأَهلَ النَّار هَل تَعرِفُونَ هَذَا ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَم هَذَا المَوت لِأَنَّهُم كُلُّهُم قَد رَآه، فَيُذبَحُ بَينَ نَاظِرَي الجَمِيع بَيْنَ الجَنَّة وَ النَّار وَ يُقَال يَا أَهْلَ الجَنَّة خُلُودٌ فَلَا مَوْت وَيَا أَهلَ النَّار خُلُودٌ فَلَا مَوْت)) .

4 . الإيمَان بِكلِّ مَا جَاء فِي الكِتاب و السُنّة مِن وَصفٍ للجَنَّة وَ النَّار.

5 . مَعرِفَة أَسبَاب دُخُول الجَنَّة وَ أَسبَاب دُخُول النَّار، لِمَا جَاء فِي الدُّعاء المَأثُور عَنِ النَّبِي – صَلَى اللهُ عَلَيهِ وَ سَلَم – : ((اللّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ الجَنَّة وَ مَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِن قَولٍ وَ عَمَل، وَ أَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّار وَ مَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِن قَولٍ وَ عَمَل)) .

° جَاء فِي الصَحِيحَيْنِ عَنِ النَّبِي – صَلَى الله عَلَيهِ وَ سَلَم – : أَنَّ الجنَّة حُفَّت بِالمَكَارِه وَ النَّار حُفَّت بِالشَهَوَات . لِذَا وَجَبَ عَلَى الإنسَان أَن يُجَاهِدَ نَفسَهُ مِنَ الجِهَتَيْن .

وَ لِكُلِّ حَيٍّ عَاقِلٍ فِي قَبْرِهِ °° عَمَلٌ يُقَارِنُهُ هُنَاكَ وَ يُسْأَلُ

لِكُلِّ حَيٍّ عَاقِلٍ : أيْ المُكَلَّف .

عَمَلٌ يُقَارِنُهُ : أيْ يَكونُ لَهُ قَرِينًا وَ رَفِيقًا .

هُنَاكَ : أَيْ فِي قَبرِهِ .

° لَا يُرَافِقُ الإنسَان فِي قَبرِهِ إِلَّا عَمَلُه، فإن كَانَ صالِحًا فَنِعم الرَّفيق، وَ إن كَانَ سَيِّئًا فَبِئْسَ الرَّفِيق .

يُسْأَلُ : أيْ يَأتِيه فِي قَبرِهِ مَلَكَان يُقَالُ لَهُما الفَتَّانَان، أحدُهُمَا يُقَال لَهُ المُنْكَر وَ الآخَرُ النَّكِير. وسُميَّا هَكَذا لِأَنَّهُما يَأتِيَّان فِي صُورَة مُنكَرَة لَم يَعهَدْها الإنْسَان فِي حَيَاتِهِ . فَيُقعِدَانِه و يَسأَلَانِه : مَن رَبُّك؟ مَا دِينُك؟ مَن نَبِيُّك؟ . وَ فِي ذَلِكَ المَوضِع : ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ إبراهيم:27 .

° الحُكْمُ وَاحِدٌ فِي كُلِّ مَن مَاتَ سَواءَ دُفِن(قُبِر) أَو لَم يُدفَن، و إنَّمَا جَاء ذِكرُ القَبر فِي النُّصُوص لأَنَّهُ الغَالِب .

° لَيسَ بَينَ الإنسَان وَ الجَنَّة أَو النَّار إِلَّا أَن يَمُوت، فَالقَبرُ أَوَّلُ مَنَازِل الآخِرَة، إِمَّا رَوضَةٌ مِن رِيَاضِ الجَنَّة أَو حُفرَةٌ مِن حُفَرِ النَّار. يَقُولُ تَعَالَى فِي آل فِرعون : ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ غَافر:46 .

هَذَا إِعتِقَادُ الشَّافِعِيِّ وَ مَالِكٍ °° وَ أَبِي حَنِيفَةَ ثُمَّ أَحْمَدَ يُنْقَلُ

هَذَا : أيْ مَا وَرَدَ فِي هَذَا النَّظْم مِن إعتِقَاد .

إِعتِقَادُ الشَّافِعِيِّ وَ مَالِكٍ وَ أَبِي حَنِيفَةَ ثُمَّ أَحْمَدَ : أيْ أنَّ هَذَا الإعتِقَاد هُوَ إعتِقَاد الأَئِمَّة الأَربَعَة، وَ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أنَّ أَئِمَّة السَلَف عَلَى عَقِيدَة وَاحِدَة .

يُنْقَلُ : أيْ يُنقَلُ عَنهُم فِي كُتُب الآثَار .

فَإِنِ اِتَّبَعْتَ سَبِيلَهُمْ فَمُوَفَّقٌ °° وَ إِنِ اِبْتَدَعْتَ فَمَا عَلَيْكَ مُعَوَّلُ

إِنِ اِتَّبَعْتَ سَبِيلَهُمْ : أيْ السَبيل الذِي كَانُوا عَلَيه هَؤُلَاء الأَئِمَّة، وَ هُوَ الإعتِقَاد الحَق المُستَمَد مِنَ الكِتَاب و السُنَّة .

فَمُوَفَّقٌ : أيْ مِن أهل التَّوفِيق الذِينَ وَفَقَهُم الله .

إِنِ اِبْتَدَعْتَ : أيْ إن خَالَفت هَذَا السَبِيل، و اِختَرت طَرِيق الإحدَاثْ فِي الدِّين .

إِنِ اِبْتَدَعْتَ فَمَا عَلَيْكَ مُعَوَّلُ : أيْ مَن كَانَ مِن أَهْل البِدَع لَا يُعَوَّلُ عَلَيْه وَ لَا يُتَلَقَى مِنْه، لأَنَّهُ لَم يُوَفَق لإِصَابَة الحَق المُستَمَد من الكِتَاب و السُنَّة، فَمَا كُلُّ مَن أَرَادَ الخَيرَ أَدْرَكَهُ .

تَـمّ، وَ الحَمدُ للهِ ربِّ العَالَمِين .

تَلخِيص : أمّ عَبد الله

غَفَر الله لَـها و لِوَالِدَيـهَا .